الفتاوى (الحمقاء) والبعد عن لغة العصر

خالد العرداوي *

أسوأ انواع الحمقى من يجرون الفتن المظلمة والكوارث المخزية على شعوبهم وبلدانهم، لماذا نقول هذا الكلام؟ قطعا لابد من سبب ومناسبة لهذا، اما المناسبة فصدور فتاوى الرجعية والجهل والحماقة من بعض وعاظ السلاطين او مضللي العوام في السعودية والتي تدعو الى نسف وتدمير المراقد المقدسة في العراق وسوريا ومصر، فما الملاحظات على هذه الفتاوى؟ وما تأثيرها في العراق والمنطقة والعالم الاسلامي؟

لقد سقط في ٩ /٤ /٢٠٠٣ اعتى انظمة المنطقة دكتاتورية وظلما وحماقة، ولا اخفي ان هذا السقوط حمل في نفوس ابناء الشعب العراقي فرحة وحسرة، اما الفرحة فخلاص الشعب من جلاده الذي اهانه طويلا وحط من كرامته وسمعته الاقليمية والدولية، واما الحسرة فكانت لان هذا الخلاص تم بايد اجنبية رافقها احتلال لبلد الحضارات والمقدسات وكان المنى لو ان الأمر لم يتم بهذا الشكل وبالصورة المأساوية التي اعقبت التغيير.

لكن على الرغم من كل شئ كانت الامال العراقية كبيرة بالتوجه نحو حياة افضل واجمل وارقى، وان يترافق ذلك مع دعم عربي واقليمي لبلد يريد ان يكون شعبه مسالما ومستقرا وذا سيادة، فكل عراقي كان يعرف ان البلد تحت الاحتلال ولكنه كان يقول انه احتلال لن يدوم طويلا بمساعدة الأشقاء والأصدقاء والجيران، فهل صدق الظن بهؤلاء الأشقاء والأصدقاء والجيران؟. الجواب هو كلا فهم ساهموا وآزروا ورعوا قوات الاحتلال قبل وبعد دخولها للعراق، وعندما ظهر لهم ان احتمالات التحرك السياسي بل التحكم السياسي بشؤون العراق لن يكون تحت سيطرتهم عربدوا وزمجروا وملئوا الأفاق بالشعارات التي تندد بالاحتلال وتطالب برحيله وانا وكل عراقي نندد بالاحتلال ونطالب برحيله ايضا، فقلنا قد يكون حلفاء الاحتلال قد استيقظت ضمائرهم بعد مندم، فاستبشر اغلب الشعب خيرا بذلك، والأمد لم يطل كثيرا حتى اتضحت خفايا وبلايا مساهمة الأشقاء والأصدقاء والجيران لا في تحرير العراق وتطويره بل في تخريبه وتدميره واستنزاف قدراته المعنوية والمادية، وتم الأمر في جله تحت شعار الجهاد ولكنه جهاد من نوع خاص، فهو ليس جهادا إسلاميا ولا جهادا وطنيا عراقيا بل جهاد معجون بدماء أبناء الرافدين، ومزود باحدث واقبح الاسلحة للفتك بالاجساد البريئة والجميلة للاطفال والنساء والشباب والشيوخ ويستهدف كل ماينبض بالحياة في العراق، وكان التخريب منذ البداية مقرونا بفتاوى حمقاء تحت رعاية حكومات دكتاتورية تحكم بعقلية الحاكم ظل الله والشعب رعايا يتلقون اكرامياته وهباته من امواله التي ورثها عن ابائه واجداده. ان حماقة هذه الفتاوى تتضح من خلال منطلقاتها ونتائجها، فهي تنطلق من ظلمات الرجعية والجهل والحقد والنقص واللاانسانية مستهدفة فك اواصر النسيج الاجتماعي الواحد، وابعاد الجار عن جاره، وقطع الاخ لرحم اخيه فاسحة المجال للسلب والنهب والسفح والقتل والاستباحة بلا وازع من دين او ضمير او عقل سليم ،فكانت نتائج ذلك رفع لشعارات العداء الطائفي بين ابناء الطوائف العراقية التي عاشت لقرون طويلة متصاهرة ومتحابة ومتجانسة، وإظهار الدين الإسلامي دين التسامح والمحبة والإخاء بمظهر دين الجلادين والقتلة وقطاع الطرق والمغتصبين امام الرأي العام العالمي، فهللت لهذا دوائر الاعلام الاسود الصهيونية والغربية فقالت لمواطنيها احذروا الاسلام وأهله لأنكم بذلك تحذرون الهمجية والبربرية واللاأنسانية، ومن النتائج الاخرى الجليلة التي قدمتها هذه الفتاوى ومن يدعمها هو تقديم الأعذار بطبق من ذهب وكأنه تحالف بليل للقوات المحتلة كي تبقى في العراق بحجة عدم الأمن والاستقرار فيه والخوف والخشية من الحرب الأهلية الطائفية وهلم جرا من الحجج والاقاويل، فهل اخرجتم الاحتلال ياجيراننا بشعاراتكم الجوفاء وفتاوى انصاف متعلميكم التي رعيتموها؟ وهل رفعتم سقف المحبة والالفة بين ابناء الشعب العراقي، اعتقد اننا قد اجبنا على ذلك، واعتقد ايضا ان النية منذ البداية كانت مبيته ضد العراق واهله وتاريخه وتراثه ومقدساته.

وبعد كل ما جرته الفتاوى الضالة من ويلات على الشعب العراقي وعلى صورة الإسلام والعرب في العالم اجمع تظهر لنا فتاوى جديدة تبرر انتهاك مقدسات المسلمين في العراق ومصر وسوريا، وخاصة مقدسات المذهب الشيعي، والتساؤل هو ما بال هؤلاء؟ ومن اي منهل ينهلون؟.

ان دول العالم اليوم جميعها تحرص على المحافظة على طقوسها وعاداتها واثارها ومقدساتها لتعكس عمقها الحضاري، وتميزها الثقافي عن غيرها من الامم والشعوب، وهي تحترم طقوس واثار ومقدسات الاخرين بقدر احترام الاخرين لما لديها، فيكون هذا التنوع مصدرا للغنى الثقافي والحضاري الانساني، في الوقت الذي يكون مصدرا للدعم الاقتصادي من خلال حركة السياحة العالمية المتنامية للبشر الباحثين عن الرقي الروحي والفكري والمتطلعين لكل جديد، فكيف اباح البعض لانفسهم الفتوى بتدمير وتحطيم مصادر الغنى الثقافي والتميز الحضاري للمسلمين على غيرهم من الامم والشعوب وهم يدركون ان ذلك سيجر كوارث على المنطقة بأسرها؟ ان ذلك ان دل على شئ فانما يدل على ان اصحاب هذا الرأي هم بحياة الغاب اجدر من حياة العصر الذي يحيون فيه،ومن لايفهم لغة عصره يكون كمن يحفر قبره بيديه، فهو لن ياتي بخير لمجتمعه وامته والانسانية، وفي نفس الوقت لن يحقق اي شئ من الاهداف التي يرفعها، لذا يجب على المسلمين جميعا، وخاصة العلماء الاعلام ان يبرؤوا من مروجي هذه الفتاوى حفظا لكرامة الانسان والدين، وفي نفس الوقت على الدول الشقيقة والجارة والصديقة التي توفر الرعاية لمصدري هذه الفتاوى ان تدرك انها تلعب بالنار التي سوف تحرقهالان الفتنة اذا اطلت لن يسلم منها احد، وفي ذات الحين هي تحمي سمعتها لكي لاتوصم بانها دول ترعى العنف والارهاب الدولي.

باحث ومحلل سياسي

الآراء الواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لا تتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

نقولا زيادة.. صلة الوصل بين المسيحية والعرب

فؤاد يوسف قزانجي

استاذ في التاريخ والمعلومات

> توفي نهاية الشهر الماضي المفكر العربي الدكتور نقولا زيادة أستاذ تاريخ العرب في العهد الوسيط عن تسعة وتسعين عاما ، قضى معظمها في التأليف والبحث وتعليم الأجيال اللبنانية الصاعدة فأنتج (٣٢) كتابا باللغة العربية بين تأليف وترجمة ، وكان في التعريب ايضا مترجما بارعا ومن النقلة العرب القلائل الذين يعدون على الأصابع. وكان أخر كتاب أنتجه هو ترجمة لكتاب نفيس عن الحضارة العربية بعنوان (الفكر اليوناني والثقافة العربية: حركة الترجمة اليونانية - العربية) لمؤلفه المستشرق الأمريكي المعاصر ديمتري غوتاس. وكان كتاب كوتاس قد أثار ضجة في الأوساط التاريخية العربية ، حيث شكك في دور بيت الحكمة العباسي في حركة الترجمة ، وارجع نشاط الحركة الى رغبة أوساط ثقافية واجتماعية في المساهمة الفعالة في الترجمة ، كما ناقش دور الخلفاء العباسيين الأول في حركة الترجمة وتناول بعض المصادر الاولية بالنقد والتحليل.

امضى نقولا زيادة سنواته الأخيرة متقاعدا في منزله في بيروت حيث قضى معظم حياته في لبنان على الرغم من انه فلسطيني ولد في دمشق في ١٩٠٧/١٢/٢ لكنه فضل الحياة في بيروت احد مراكز الإشعاع الفكري العربي. كما ترجم كتاب (تاريخ البشرية) بجزأين، للمؤرخ الانكليزي الجليل ارنولد توينبي الذي كان يعول كثيرا في نظرته للمستقبل على حضارات وشعوب الشرق وخاصة بلاد ما بين النهرين والهلال الخصيب، وكان يؤمن بأهمية الوحدة العربية لخلق حضارة عربية جديدة بتقانه وأساليب حديثة ولكن بجذور شرقية حضارية تربط بين الروح والمادة، ولا بد ان العرب في مسيرتهم المتعثرة بعد الإخفاقات المتلاحقة قد خيبوا ظن هذا المؤرخ العظيم. وكان الجزء الثاني من الكتاب قد منع في العراق وربما في غيره من البلدان العربية، لذلك لم نقرأه حتى ألان. إما الكتاب الثالث المهم الذي ترجمه فهو (بيزنطة والفتوحات الاسلامية المبكرة) وهو من المصادر التاريخية الجيدة لكونه يعرف المؤرخ العربي بوجهة نظر الاخرين لكن الكتاب على الرغم من أهميته لا نجده في معظم المكتبات الرئيسة بل لم يظهر عنه نقد يعتد به في المجلات الجامعية المهتمة بالتاريخ.

وعندما زرت الأردن في العام الماضي نصحني احد الكتاب الاردنين ان أقرأ كتاب (المسيحية والعرب) من تأليف نقولا زيادة. وكنت أظن ان هذا المؤرخ قد توفي ولكن ذكر لي انه يعرفه، وانه لا يزال حيا يرزق وان عمره قارب المائة، فشكرت الله على مده بعمر أحد مفكرينا الأفذاذ. واتضح ان كتابه إلفه في التسعينيات للتعريف بالمسيحيين العرب. ووجدت فيه كثيراً من الجوانب التاريخية العميقة الصلة بالمجتمع العربي قبل الاسلام إبان ازدهار المسيحية في القرنين الخامس والسادس الميلاديين. وقد نشرت مراجعة للكتاب أوضحت فيه فهمي ونظرتي للكتاب مع بعض الملاحظات عليه وذلك في بداية هذا العام. إما ابرز مؤلفات نقولا زيادة فهي (دمشق في عصر المماليك) وهي أطروحته للدكتوراه من مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن، وهي الكلية التي تخرج فيها مؤرخون عراقيون بارزون أمثال الأستاذ عبد العزيز الدوري والأستاذ المرحوم صالح احمد العلي. تليها كتب اخرى مثل (إبعاد التاريخ اللبناني الحديث، مدن عربية، الحسبة والمحتسبة في الاسلام، إعلام عرب، المسيحية والعرب الذي طبع ثلاث طبعات).

ويذكر الباحث الأردني غازي أنعيم ان من ابرز أراء نقولا في التاريخ ما يلي : " ان هنالك محاولات كثيرة تتعلق بإعادة كتابة التاريخ، الواقع الذي نحتاجه ان نبدأ بكتابة التاريخ العربي. نحن لم نكتبه بعد، كتبنا فصولا واجزاءا منه، فتاريخ العرب من حيث انه تاريخ مجموعة بشرية لها مجموعات سكانية مختلفة في الأمة العربية. يجب ان يعتاد المؤرخ على ان لا ينظر الى التاريخ كشئ مقدس، بل ان ينظر إليه كتاريخ لشعب او امة مثل بقية الأمم لها أخطاؤها ولها حسناتها " وهذا الرأي الجرئ يعكس الأطروحات الحالية في إعادة كتابة تاريخنا بموضوعية، وعلينا إلا نعيد كتابته كما كتبه الطبري او المسعودي.

عمل المؤرخ زيادة بعد تخرجه تدريسيا في الجامعة الامريكية بيروت في الأعوام (١٩٣٩-١٩٧٣) حتى اصبح أستاذا في تخصصه، كما شغل مرتبة أستاذ في كلية اللاهوت للشرق الأدنى ببيروت، ومشرفا على أطروحات الدكتوراه في التاريخ بجامعة القديس يوسف (١٩٧٣-١٩٨٧). والمؤرخ زيادة عضو في المجمع العلمي العراقي وجمعية المستشرقين الألمانية. يمكن القول ان نقولا زيادة، مساهم في كتابة جانب من تاريخ الأمة العربية، من خلال نظرة موضوعية خالية من الروايات والثناء على الخلفاء والقادة وغيرهم، وان لم نجد اتجاها نقديا في كتاباته، فقد كان يفضل العمومية والحذر، بل لم أجده يناقش أية مسألة جدلية في التاريخ العربي، مثل سلوك الخلفاء، ونظام الذمة، والعلاقة بين المسلمين وغير المسلمين وغير ذلك، بل كان زيادة ايجابيا ولم يصحح أي رأي من الذين سبقوه لا إشارة ولا تلميحا.

يعد نقولا زيادة واحدا من خمسين كاتبا مرموقا معاصرا في الأمة العربية، ومؤرخا معتدلا كشف عن جوانب تاريخية مهمة إبان حكم المماليك لسوريا. لم تحرمه السياسة واتجاهاتها العنيفة في الخمسينيات والستينيات عن حياده العلمي، ولم يضف من الحماس القومي او الديني على إحداث التاريخ كما فعل بعض المؤرخين.

يعتبر نقولا من المترجمين العرب القلائل الذين نقلوا بدقة وببراعة الأصل الى اللغة العربية، فالكتب الثلاث او الأربع التي ترجمها تميزت بأسلوب ولغة تشابه لغة الأصل تماما مما يذكرنا بترجمات حنين بن اسحق العبادي في عصر بيت الحكمة العباسي. ومن خلال كتاباته التاريخية وخاصة المسيحية والعرب يكون نقولا في فكره المتفتح صلة الوصل بين العالم العربي والمسيحية في الهلال الخصيب.

اهم المصادر

أنعيم، غازي، "نقولا زيادة. المرشد الى فهم تاريخ وحضارة العرب " جريدة الدستور الأردنية ٢٠٠٦/٨/٤

باتيل ورولينغ .. امرأتان في زمن الذكور

سعيد الحمد

اعلامي بحراني

لأننا يئسنا أو كدنا في محاولاتنا لاقناع الذهنية الذكورية المسيطرة بإعطاء المرأة فرصتها أو بما يسمى تمكين المرأة) ولأننا وجدنا الذهنية الذكورية تصيب بدائها وعدواها حتى النساء. عندما اقتنعت قطاعات نسائية عريضة بالنظرية الذكورية واصبحت المرأة ضد تمكين المرأة.. لأننا كذلك فلا أقل من أن نناكفهم ونشاغبهم بنساء الخارج فنأتي بنماذجنا من هناك لعلها تحرك الصخرة الصلبة التي احتلت العقول.

فها هي الهندية (باتيل) التي جاءت من الطبقة الوسطى الهندية (محامية) تصبح رئيسة لجمهورية الهند.. هذه القارة او شبه القارة الاقرب إلينا من النماذج الاوروبية تقبل من دون ضجيج ان تكون امرأة من عامة الناس رئيسة لجمهوريتها، وكأنها تعيد إلى الذاكرة سيرة المرأة الهندية الابرز متمثلة في انديرا غاندي التي لم تهتم اجيالنا الجديدة بسيرتها وحكايتها وبدراسة دورها وتجربتها الغنية بما انعكس سلباً على الوعي بقدرة المرأة.. فلو قرأوا سيرة تلك المرأة لرفعوا (قبعاتهم) لكل امرأة تكسر التابو الشرقي وتدخل للحياة العامة لتصبح علامة من علاماتها.. لكنه جيل يعرف عن الملا عمر وعن المسجد الاحمر اكثر مما يعرف عن انديرا إحدى أبرز مجددات الديمقراطية في شبه القارة الهندية التي لا يعرف ابناء اليوم شيئاً عن تضاريسها الفكرية والثقافية بعد ان تفرغوا لحفظ تضاريس (تورا بورا) الدكاكين بيشاور التي فتحت ابوابها (لتجنيدهم) حطباً لجحيم خرج من هناك وما زال يشتعل في كل مكان ليدمر بدلاً من ان يعمر.

لم ولن يهتموا ايضا بسيرة (باتيل) وبرمزية اختيارها وهي المرأة رئيسة لجمهورية الهند لانهم ما زالوا يقرأون ومازالوا يصفقون لسيرة الارهابية التي فخخت نفسها لتفجير فنادق عمان ذات مساء اسود راحت ضحية له من بين عشرات الضحايا الابرياء فتاة بحرينية في عمر الورد، ذهبت لتدرس الطب هناك وتعود لتعالج ابناء وطنها فعادت مقعدة تطلب علاجاً فإذا كانت هذه الحكايات هي التي يقرؤها ابناء وبنات جيلكم فماذا تتوقعون النتيجة.. وكيف ستنتهي الامور بهم؟ حتى حكايات (هاري بوتر) لصاحبتها رولينغ غضبوا غضباً شديداً وثاروا ثورة عرمرمية صاعقة لأن بعض ابناء جيلهم الجديد اراد ان يقرأها.. فحذروه منها وهددوه من مغبة قراءتها وخطورة معرفة سيرة صاحبتها (رولينغ) خوفاً عليه من مؤامرات التغريب والتخريب.

بالله عليكم من يخرب من؟ لن ندافع هنا عن حكايات وسلسلة روايات (هاري بوتر) لكنها شئنا ام أبينا تكاد ان تكون ظاهرة عالمية لافتة، وهي في النهاية ثقافة لا تدمر العقول وتفجر المدنية كما تفعل ثقافة (تورا بورا) التي يعملون على استنساخها واعادة إحيائها في مدن العالم القريبة والبعيدة ليسجلوا نصراً مبيناً على (الكفار). وعندما تسألهم من هم الكفار تجد نفسك وتجد اطفالك وتجد اهل ديرتك الطيبين مسجلين على قائمتهم وبعد ذلك نسأل لماذا ينظرون إلى المرأة هكذا نظرة ولماذا غسلوا عقلها حتى اصبحت ضد نفسها وضد حقوقها وضد إنسانيتها.

صحيح ان بين (باتيل) الهندية و (رولينغ) الانجليزية مسافة لكن تجمعهما (جندرة) واحدة (جنس) واحد ما زلنا نسميه عندنا ونطلق عليه جنس الحريم، ولأنها كذلك فستظل في اعرافنا الغائرة محرومة من كل شيء، وكلما زاد حرمانها كلما استصغرت ذاتها وقزمت قدراتها واحتقرت امكانياتها وتخلت طائعة عن مكتسباتها وعادت إلى (الحرملك)! و(الحرملك) اليوم ليس مكاناً تقبع فيه المرأة وتختبئ كما في الماضي البعيد.. ولكنه ثقافة وفكر وعندما يتحول(الحرملك) من مكان تسهل مغادرته والخروج منه إلى ثقافة نصبح امام معضلة وليس مشكلة..!